الباب الثالث

سيرة أحمد بن محمّد الدردير ونظمه "الخريدة البهيّة"

أ. مولد أحمد بن محمّد الدردير ونشأته

هو أحمد بن محمّد بن أحمد بن أبي حامد العَدوي، المالكي، الأزهري، الخلوتي، الشهير بأحمد الدردير. ولد في بلدة بني عدي،[1] إحدى مدن محافظة أسيوط بصعيد مصر سنة سبع وعشرين ومائة وألف (١١٢٧ هـ).[2]

ونشأ الشيخ الدردير في أسرة تعتني بالعلم، فوالده هو العالم الجليل الشيخ محمّد الدردير، كان عالما صالحا تقيا تلقى العلم على جهابذة العلماء كالشيخ أحمد النفراوى المالكي، وكان دائم لاشتغال بقراءة القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية والعربية والعبادة، فقد بصره

[1] قرية بني عدي هي بلدة مشهور بالعلم من قديم الزمن والجامع الأزهر لا يخلو منهم ومنهم شيخ رواق الصعايدة غالبا ومنهم المؤلفون والمدرسون قديما وحديثا وأهلها قوم كرام ذوو هم عالية وذكاء وفطنة وفصاحة وفيهم تمسك بعادات العرب الحميدة (خالد بن حسن أحمد، *فتح القدير في أحاديث البشير*، (القاهرة: قطر الندي)، ص ١٤)

[2] عبد السلام، *شرح الخريدة البهيّة في علم التوحيد*، (الأزهر: دار الفكر، ١٢٠١ هـ)، ص ٥

أخر عمره فاشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله، فحفظ على يديه خلق كثير، وكان يعلم الفقراء حسبة لا يأخذ أجرا على ذلك، وكان رحمه كثير السكوت لا يتكلم إلا نادرا، وقد توفي والد الشيخ الدردير وهو في العاشرة من عمره وقد حفظ إلى سورة الفتح، فكفلته أمه ووجهته لحفظ بقية كتاب الله وطلب العلم ثم انتقل الإمام الدردير من بنى عدي إلى الأزهر في الثانية عشرة من عمره.[٣]

مرض أحمد الدردير في آخر عمره أياما، ولزم الفراش مدة حتى توفي يوم سبت ربيع الأول سنة ١٢٠١ هـ الموافق ٢٧ ديسمبر سنة ١٧٨٦م، وصُلي عليه في الجامع الأزهر في مشهد عظيم حافل، ودفن بزاويته التي أنشأها بالكعكيين خلف الجامع الأزهر الشريف، وبجوار ضريح يحيى بن عقب، وهو مسجد الآن يحمل اسمه يقصده الطلاب من كل مكان لدارسة العلوم الشرعية.[٤]

---

[٣] خالد بن حسن أحمد، *فتح القدير في أحاديث البشير*، (القاهرة: قطر الندي)، ص ١٣-١٤

[٤] عبد السلام، *شرح الخريدة البهيّة في علم التوحيد*، (الأزهر: دار الفكر، ١٢٠١ هـ)، ص ٧

ب. أخلاق أحمد بن محمّد الدردير

كانت في نفس الشيخ أحمد بن محمّد الدردير سليم الباطن، مهذب النفس، كريم الأخلاق. له كلمات حسنة العبارة، بديعة الحقيقة والاستعارة، تدل على أنه قطب الفضائل، وفرد الأفاضل. كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله في السعي على الخير يد بيضاء.[٥]

تلقى الشيخ الدردير العلم عن ثلة مباركة من علماء عصره ومنهم :

١. الشيخ أحمد الصباغ، أخذ علوم الحديث.

٢. شمس الدين محمّد بن سالم الشهير بالحنفي، أخذ عنه طريق التصوف وعلومه، وبه تخرج في طريق القوم، فتلقن الذر وطريقة الخلوتية منه حتى صار من أكبر خلفائه.

٣. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الشهير بالملوي.

---

[٥] عبد السلام، *شرح الخريدة البهيّة في علم التوحيد*، ص ٨٠.

٤. نور الدين علي بن أحمد الشهير بالصعيدي، تلقى عنه الفقه ولازمنه في كل دروسه.

٥. سمع الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ محمّد الدفراوي بشرطه.[٦]

ج. أفكار أحمد بن محمّد الدردير عن الفقهية والكلامية

تلتزم أيديولوجيا أحمد بن محمّد الدردير بخبراء السنة والجامعة بالمدهب الأشعرية.[٧] مدهب الأشعري هو مدهب تنسب إلى الإمام أبي حسن الأشعري الذي ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤ هـ أو ٣٣٠ هـ).[٨] في أيديولوجيا اشتهرت أعماله وأصحبت دراسة الطلاب هي الخريدة البهيّة يعنى كتاب يصف يديولوجيا الأشعري على شكل نظام. في علم الفقه تلتزم

---

[٦] هشام الكامل حامد موسى، *التوضيحات الجلية على متن الخريدة البهية*، ص ٩

[٧] المذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة والجامعة، والانتساب إلى أبي حسن الأشعري، كالانتساب إلى المذهب الفقهية كالحنفى، والمالكي، والشافعي، والحنبلي. (هشام الكامل حامد موسى: ١٤)

[٨] هشام الكامل حامد موسى، *التوضيحات الجلية على متن الخريدة البهية*، (الازهر: دار المنار، ٢٠١٤ م)، ص ٢٤

مذهب أحمد بن محمّد الدردير بالإمام مالك بتأليف حواشي عديدة على كتب فقهية كانت تدرس في الأزهر في عصره، مثل: بلغة المسالك لأقرب المسالك، وهي حا شية على الشرح الصغير للدردير.

د. آثار أحمد بن محمّد الدردير العلمية

١. مؤلفاته

للشيخ الدردير مؤلفات التي يحتوى عن العلوم التى كانت المختلافة تدرس في وقته فألف في التوحيد والفقه والتفسير والبلاغة والأدب والأخلاق وغيرها ورزق فيها القبول، ومن أهمها:[٩]

١. الخريدة البهيّة في العقائد التوحيدية، وهي منظومة لطيفة صغيرة حجمها جمع فيها زبدة علم التوحيد في عبارات سهلة وألفاظ

[٩] عبد الحليم محمود، *أبو البركات سيد أحمد الدردير*، (القاهرة: دار المعارف، ١١١٩ هـ)، ص.٥٣-٥٤

مختارة وبطريقه سلسة وبأسلوب يجذبك إلى حب الله ويعلق قلبك بربك وهي منظومة في سبعين بيتا.

٢. شرح مختصر خليل، وهو شرح موجز على مختصر الإمام خليل في فقه الإمام مالك.

٣. ومتن في الفقه المالكى، سماه أقرب المسالك لمذهب مالك وهو كتاب في الفقه المالكي لأبي العباس أحمد بن محمد الصاوي المالكي.

٤. تحفة الإخوان في علم البيان، وهي رسالة صغيرة جدا موضوعها علم البيان من المجاز والتشبيه والكناية.

٥. نظم الخريدة السنية في العقيدة السنية، في علم التوحيد على مذهب الأشاعرة.

٦. تحفة الأخوان في آداب أهل العرفان في التصوف.

٧. رسالة في المعاني والبيان.

٨. رسالة أفرد فيها طريقة حفص.

٩. رسالة في المولد الشريف.

١٠. رسالة في شرح قول الوفائية (يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، ياحكم).

١١. رسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي.

١٢. رسالة في صلوات شريفة، اسمها (المورد البارق في الصلاة غلى أفضل الخلائق).

١٣. التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى.

١٤. مجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ.

١٥. شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي.

١٦. شرح مقدمة نظم التوحيد، للسيد محمّد كمال الدين البكري.

١٧. شرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام، والأصل للشيخ البيلي.

١٨. شرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش.

١٩. شرح على آدب البحث.

٢٠. شرح على الشمائل لو يكمل.

٢١. شرح على رسالة قاضي مصر عبدالله أفندي في قوله تعالى: (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَتِ رَبِّكَ) {الأنعام: ١٥٨}، وله غير ذلك.

ب. تلاميذه

ومن تلاميذه أخذ عن الشيخ الدردير كثير من العلماء الأجلاء، تخرجوا على يديه، وانتفعوا بعلومه، منهم :

١. الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي.

٢. أبو الخيرات مصطفى العقباوي الذي أكمل شرح أقرب المسالك،

٣. أبو العباس أحمد بن محمّد الصاوي.

٤. أبو الفلاح صالح بن محمّد بن صالح السباعي.

٥. أبو الربيع سليمان بن محمّد الفيومي.[١٠]

هـ. أبياته في نظم "الخريدة البهيّة"

نظم الخريدة البهيّة يشرح عن علم التوحيد على مذهب الإمام أبي حسن الأشعري، الذي كتب للإمام أحمد بن محمد الدردير. وأما عدد الأبيات في نظم "الخريدة البهيّة" هي ٧١ بيتا كما يلى:[١١]

نظم الخريدة البهيّة

١. يَقُوْلُ رَاجِي رَحْمَةِ الْقَدِيْرِ # أَيْ أَحْمَدُ الْمَشْهُوْرُ بِالدَّرْدِيْرِ

٢. اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْوَاحِدِ # اَلْعَالِمِ الْفَرْدِ الْغَنِيِّ الْمَاجِدِ

٣. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيْمِ # عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْكَرِيْمِ

٤. وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ # لاَ سِيَّمَا رَفِيْقُهُ فِي الْغَارِ

٥. وَهٰذِهِ عَقِيْدَةٌ سَنِيَّهْ # سَمَّيْتُهَا الْخَرِيْدَةَ الْبَهِيَّهْ

---

[١٠] هشام الكامل حامد موسى، *التوضيحات الجلية على متن الخريدة البهية*، ص ١١

[١١] أحمد بن محمد الدردير، *نظم الخريدة البهية*، ص ١- ٧

٦. لَطِيْفَةٌ صَغِيْرَةٌ فِي الْحَجْمِ # لَكِنَّهَا كَبِيْرَةٌ فِي الْعِلْمِ

٧. تَكْفِيْكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ أَنْ تَكْتَفِى # لِأَنَّهَا بِزُبْدَةِ الْفَنِّ تَفِى

٨. وَاللهَ أَرْجُوْ فِي قَبُوْلِ الْعَمَلِ # وَالنَّفْعَ مِنْهَا ثُمَّ غَفْرَ الزَّلَلِ

٩. أَقْسَامُ حُكْمِ الْعَقْلِ لَا مَحَالَهْ # هِيَ الْوُجُوْبُ ثُمَّ الْاِسْتِحَالَهْ

١٠. ثُمَّ الْجَوَازُ ثَالِثُ الْأَقْسَامِ # فَافْهَمْ مُنِحْتَ لَذَّةَ الْأَفْهَامِ

١١. وَوَاجِبٌ شَرْعًا عَلَى الْمُكَلَّفِ # مَعْرِفَةُ اللهِ الْعَلِيِّ فَاعْرِفِ

١٢. أَيْ يَعْرِفَ الْوَاجِبَ وَالْمُحَالَا # مَعْ جَائِزٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَى

١٣. وَمِثْلُ ذَا فِي حَقِّ رُسْلِ اللهِ # عَلَيْهِمُ تَحِيَّةُ الْإِلٰهِ

١٤. فَالْوَاجِبُ الْعَقْلِيُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ # اَلْاِنْتِفَا فِي ذَاتِهِ فَابْتَهِلِ

١٥. وَالْمُسْتَحِيْلُ كُلُّ مَا لَمْ يَقْبَلِ # فِي ذَاتِهِ الثُّبُوْتَ ضِدُّ الْأَوَّلِ

١٦. وَكُلُّ أَمْرٍ قَابِلٍ لِلْاِنْتِفَا # وَلِلثُّبُوْتِ جَائِزٌ بِلاَ خَفَا

١٧. ثُمَّ اعْلَمَنْ بِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَا # أَيْ مَا سِوَى اللهِ الْعَلِيِّ الْعَالِمَا

١٨. مِنْ غَيْرِ شَكٍّ حَادِثٌ مُفْتَقِرُ # لِأَنَّهُ قَامَ بِهِ التَّغَيُرُ

١٩. حُدُوْثُهُ وُجُوْدُهُ بَعْدَ الْعَدَمْ # وَضِدُّهُ هُوَ الْمُسَمَّى بِالْقِدَمْ

٢٠. فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْوَصْفِ بِالْوُجُوْدِ # مِنْ وَاجِبَاتِ الْوَاحِدِ الْمَعْبُوْدِ

٢١. إِذْ ظَاهِرٌ بِأَنَّ كُلَّ أَثَرِ # يَهْدِي إِلَى مُؤَثِّر فَاعْتَبِرِ

٢٢. وَذِيْ تُسَمَّى صِفَةً نَفْسِيَّهْ # ثُمَّ تَلِيْهَا خَمْسَةٌ سَلْبِيَّهْ

٢٣. وَهْيَ الْقِدَمْ بِالذَّاتِ فَاعْلَمْ وَالْبَقَا# قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ نِلْتَ الْتُقَى

٢٤. مُخَالِفٌ لِلْغَيْرِ وَحْدَانِيَّهْ # فِي الذَّاتِ أَوْ صِفَاتِهِ الْعَلِيَّهْ

٢٥. وَالْفِعْلُ فِي التَّأْثِيْرِ لَيْسَ إِلَّا # لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ جَلَّ وَعَلَا

٢٦. وَمَنْ يَقُلْ بِالطَّبْعِ أَوْ بِالْعِلَّهْ # فَذَاكَ كُفْرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّهْ

٢٧. وَمَنْ يَقُلْ بِالْقُوَّةِ الْمُوْدَعَةِ # فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فَلاَ تَلْتَفِتِ

٢٨. لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا لَزِمْ # حُدُوْثُهُ وَهْوَ مُحَالٌ فَاسْتَقِمْ

٢٩. لِأَنَّهُ يُفْضِيْ إِلَى التَّسَلْسُلِ # وَالدَّوْرِ وَهْوَ الْمُسْتَحِيْلُ الْمُنْجَلِى

٣٠. فَهُوَ الْجَلِيْلُ وَالْجَمِيْلُ وَالْوَلِى # وَالطَّاهِرُ الْقُدُّوْسُ وَالرَّبُّ الْعَلِى

٣١. مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُلُوْلِ وَالْجِهَهْ # وَالْاِتِّصَالِ الْاِنْفِصَالِ وَالصِّفَهْ

٣٢. ثُمَّ الْمَعَانِيْ سَبْعَةٌ لِلرَّائِى # أَيْ عِلْمُهُ الْمُحِيْطُ بِالْأَشْيَاءِ

٣٣. حَيَاتُهُ وَقُدْرَةٌ إِرَادَهْ # وَكُلُّ شَيْءٍ كَائِنٌ أَرَادَهْ

٣٤. وَإِنْ يَكُنْ بِضِدِّهِ قَدْ أَمَرَا # فَالْقَصْدُ غَيْرُ الْأَمْرِ فَاطْرَحِ الْمِرَا

٣٥. فَقَدْ عَلِمْتَ أَرْبَعًا أَقْسَامَا # فِي الْكَائِنَاتِ فَاحْفَظِ الْمَقَامَا

٣٦. كَلاَمُهُ وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ # فَهْوَ الْإِلٰهُ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ

٣٧. وَوَاجِبٌ تَعْلِيْقُ ذِيْ الصِّفَاتِ # حَتْمًا دَوَامًا مَا عَدَا الْحَيَاةِ

٣٨. فَالْعِلْمُ جَزْمًا وَالْكَلاَمُ السَّامِى # تَعَلَّقَا بِسَائِرِ الْأَقْسَامِ

٣٩. وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ تَعَلَّقَا # بِالْمُمْكِنَاتِ كُلِّهَا أَخَا التُّقَى

٤٠. وَاجْزِمْ بِأَنَّ سَمْعَهُ وَالْبَصَرَا # تَعَلَّقَا بِكُلِّ مَوْجُوْدٍ يُرَى

٤١. وَكُلُّهَا قَدِيْمَةٌ بِالذَّاتِ # لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِغَيْرِ الذَّاتِ

٤٢. ثُمَّ الْكَلاَمُ لَيْسَ بِالْحُرُوْفِ # وَلَيْسَ بِالتَّرْتِيْبِ كَالْمَأْلُوْفِ

٤٣. وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّمَا تَقَدَّمَا # مِنَ الصِّفَاتِ الشَّامِخَاتِ فَاعْلَمَا

٤٤. لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوْفَا # بِهَا لَكَانَ بِالسِّوَى مَعْرُوْفَا

٤٥. وَكُلُّ مَنْ قَامَ بِهِ سِوَاهَا # فَهْوَ الَّذِي فِي الْفَقْرِ قَدْ تَنَاهَا

٤٦. وَالْوَاحِدُ الْمَعْبُوْدُ لَا يَفْتَقِرُ # لِغَيْرِهِ جَلَّ الْغَنِيْ الْمُقْتَدِرُ

٤٧. وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ الْإِيْجَادُ # وَالتَّرْكُ وَالْإِشْقَاءُ وَالْإِسْعَادُ

٤٨. وَمَنْ يَقُلْ فِعْلُ الصَّلاَحِ وَجَبَا # عَلَى الْإِلَهِ قَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَا

٤٩. وَاجْزِمْ أَخِي بِرُؤْيَةِ الْإِلٰهِ # فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ بِلاَ تَنَاهِى

٥٠. إِذِ الْوُقُوْعُ جَائِزٌ بِالْعَقْلِ # وَقَدْ أَتَى فِيْهِ دَلِيْلُ العَقْلِ

٥١. وَصِفْ جَمِيْعَ الرُّسْلِ بِالْأَمَانَهْ # وَالصِّدْقِ وَالتَّبْلِيْغِ وَالْفَطَانَهْ

٥٢. وَيَسْتَحِيْلُ ضِدُّهَا عَلَيْهِمُ # وَجَائِزٌ كَالْأَكْلِ فِي حِقِّهِمُ

٥٣. إِرْسَالُهُمْ تَفَضُّلٌ وَرَحْمَهْ # لِلْعَالَمِيْنَ جَلَّ مَوْلِي النِّعْمَهْ

٥٤. وَيَلْزَمُ الْإِيْمَانُ بِالْحَسَابِ # وَالْحَشْرِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ

٥٥. وَالنَّشْرِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيْزَانِ # وَالْحَوْضِ وَالنِّيْرَانِ وَالْجِنَانِ

٥٦. وَالْجِنِّ وَالْأَمْلَاكِ ثُمَّ الْأَنْبِيَا # وَالْحُوْرِ وَالْوِلْدَانِ ثُمَّ الْأَوْلِيَا

٥٧. وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْبَشِيْرِ # مِنْ كُلِّ حُكْمٍ صَارَ كَالضَّرُوْرِ

٥٨. وَيَنْطَوِي فِي كِلْمَةِ الْإِسْلاَمِ # مَا قَدْ مَضَى مِنْ سَائِرِ الْأَحْكَامِ

٥٩. فَأَكْثِرَنْ مِنْ ذِكْرِهَا بِالْأَدَبِ # تَرْقَى بِهٰذَا الذِّكْرَ أَعْلَى الرُّتَبِ

٦٠. وَغَلِّبِ الْخَوْفَ عَلَى الرَّجَاءِ # وَسِرْ لِمَوْلاَكَ بِلَا تَنَاءِ

٦١. وَجَدِّدِ التَّوْبَةَ لِلْأَوْزَارِ # لاَ تَيْأَسَنْ مِنْ رَحْمَةِ الْغَفَّارِ

٦٢. وَكُنْ عَلَى آلاَئِهِ شَكُوْرَا # وَكُنْ عَلَى بَلاَئِهِ صَبُوْرَا

٦٣. وَكُلُّ أَمْرٍ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرْ # وَكُلُّ مَقْدُوْرٍ فَمَا عَنْهُ مَفَرْ

٦٤. فَكُنْ لَهُ مُسَلِّمًا كَيْ تَسْلَمَا # وَاتْبَعْ سَبِيْلَ النَّاسِكِيْنَ الْعُلَمَا

٦٥. وَخَلِّصِ الْقَلْبَ مِنَ الْأَغْيَارِ # بِالْجِدِّ وَالْقِيَامِ فِي الْأَسْحَارِ

٦٦. وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ عَلَى الدَّوَامِ # مُجْتَنِبًا لِسَائِرِ الْآثَامِ

٦٧. مُرَاقِبًا لِلّٰهِ فِي الْأَحْوَالِ # لِتَرْتَقِيْ مَعَالِمَ الْكَمَالِ

٦٨. وَقُلْ بِذُلٍّ رَبِّ لاَ تَقْطَعْنِيْ # عَنْكَ بِقَاطِعٍ وَلاَ تَحْرِمْنِيْ

٦٩. مِنْ سِرِّكَ الْأَبْهَى الْمُزِيْلِ لِلْعَمَى# وَاخْتِمْ بِخَيْرٍ يَا رَحِيْمَ الرُّحَمَا

٧٠. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى الإِتْمَامِ # وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ

٧١. عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ الْخَاتِمِ # وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَكَارِمِ